مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد(9)، العدد (1)، (جوان -2024)، ص 357-371
ISSN: 2602-5566 EISSN: 2716-8999

دور اكتشاف الطباعة في الانتقال من المقاربة الذاتية إلى الموضوعية لفهم الآخر: علم الأديان نموذجًا

The Influence of the Printing Press in the Transition from Subjective to Objective Approaches to Understanding the Other: The Case of Science of Religions

محمد أسامة بن عطاء الله[1]*

[1] جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (الجزائر) benatallah.medouss@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/02/29 **تاريخ القبول:2024/05/11**

ملخص:

يسعى هذا البحث إلى مساءلة الأثرَ الثّقافي لاختراع الطّباعة على الفكر الغربيّ من خلال التّركيز على كيفيّة تحرير المعرفة من احتكار الكنيسة وجعلها متداولة بين عامّة الناس بعد أن سمحت بمُنجزاتها تداوُلَ الكتب الفكريّة والعلميّة، وعلى رأسها الكتاب المقدس، ممّا شجّع على شُيُوعِ الفكر النّقدي، كما يُحلّل تحوّل الوعي الغربيّ من الفهم الذّاتي للآخر المتوارث عن الأحكام اللاهوتية المسبقة والمشوّهة في غالبيتها، إلى تبنّي فهمٍ موضوعيٍّ قائمٍ على المناهج العلميّة، وهو ما دفع إلى التفكير في تأسيس العلوم الإنسانية والاجتماعية، بُغية مُقاربة التّراث الديني المكتشف لدى الآخر الغريب والبعيد من خلال زوايا نظرٍ مغايرة، ومن بينها علم الأديان. كما يبحث في تأثير اختراع الطباعة على تطوّر الفلسفي وانبثاق حركة التنوير. وتخلُص الدّراسة إلى أنّ اختراع الطّباعة قد أدّى إلى تكسير مفهوم المركزية الغربية على إثر الصّدمة الثقافية الحاصلة بعد اللّقاء مع العوالم الأخرى، بعد تبنّي مفهوم الكوني المشترك، كما اغْتَنَت المبادئ الرّئيسية لحركة التّنوير بالأفكار المستفادة من الشّروحات العربيّة للمتون اليونانية.

كلمات مفتاحية: الطباعة؛ الأديان؛ الموضوعية؛ الاختزال؛ الترجمة.

Abstract

This study scrutinizes the cultural repercussions of the printing press on Western thought, emphasizing how the dissemination of the printing technology undermined the Church's monopoly over knowledge. This process democratized access to scholarly and scientific texts, notably the Bible, fostering an environment conducive to the proliferation of critical thinking. The analysis extends to the paradigmatic shift in Western consciousness from a subjective, theologically skewed understanding of the 'Other' to an objective perspective informed by scientific methodologies. This paradigm shift was instrumental in contemplating the foundations of the humanities and social sciences, particularly in interpreting the religious legacies of disparate cultures through novel interpretive frameworks, as seen in the science of religions. Further, the study explores the influence of the printing press on philosophical evolution and the genesis of the Enlightenment. It posits that the printing press was instrumental in dismantling western centrism, catalyzing a cultural shock through encounters with diverse worldviews, which led to the embrace of a more inclusive, universalist approach. Importantly, the enlightenment's core principles were significantly enriched by the Arab exegetical traditions on Greek texts.

Keywords: Printing; Religions; Subjectivity; Reduction; Translation.

* المؤلف المرسل.

دور اكتشاف الطباعة في الانتقال من المقاربة الذاتية إلى الموضوعية لفهم الآخر: علم الأديان نموذجًا

1- مقدمة

عانى الفكر الغربيّ حالةً من الرّكودِ الفكريّ خلال فترة القرون الوسطى بسبب احتكار الكنيسة للمعرفة وفرض وصايتها على العقل، غير أنّ اختراع الطّباعة كان بمثابة تدشينٍ لحظةٍ ثقافيّة جديدة، وانقلابا كوبرنيكيّا شَمِل جميع المجالات المعرفيّة، ولذلك اعتنى المفكّرون والمؤرّخون بهاته اللّحظة التاريخية عبر محاولة استقصاء الدّلالات الفكرية التي أفرزها هذا الابتكار، والانعكاسات التي انبثقت عنه كنتيجةٍ لتغيُّر الذّهنيات والمفاهيم، وحدوث تحوُّلات جوهريّة غيّرت من بنية العقل الغربيّ في ذاته.

وتكمن أهميّة هذا الموضوع في تسليط الضّوء على بدايات تحرّر العقل الغربي من الدّوغمائية بعد انفتاحه على الآخر، وتطلّعه نحو التعرّف عليه موضوعيّا بدلاً من القوالب الفكريّة والأحكام الجاهزة المكتسبة والمتوارثة عن المقاربة اللاّهوتية ذات النّزعة الذّاتية، وهو ما أسهم لاحقا في وضع المعالم الأولى للعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، وذلك بعد ترجمة وطباعة المصادر الأصليّة لهذا الآخر والمغاير، ومقاربتها وفق رؤية ومناهج مختلفة، أدّت في النّهاية إلى التّنظير لعلمٍ مستقلٍّ بذاته يسعى إلى الاشتغال بدراسة الظاهرة الدينية موضوعيّا، وهو علم الأديان.

وقد شرعنا في مناقشة جزئيّات هذا البحث من خلال طرح الإشكالية التّالية: كيف أسهم اكتشاف الطّباعة في الفكر الغربي في تأسيس العلوم الإنسانية والاجتماعية عموما؟ وعلم الأديان المقارن خصوصا؟ وكيف سمح بكسر المركزيّة الغربيّة ودَفَعَ إلى الاعتقاد بالكونية المشتركة؟

وللإجابة عن هذه التّساؤلات، فقد اعتمدنا على المنهج الاستقرائي، وذلك من خلال تتبّع عيّنة من المطبوعات والتّرجمات التي ظهرت بعد اكتشاف "يوهان غوتنبرغ" لآلة الطّباعة، مع عرض طريقة تداولها وتلقّيها في الوسط الثّقافي الغربي، بالإضافة إلى توظيف المنهج التحليلي من خلال بيان الأثر الثقافي للطّباعة، ولدورها في ظهور علم الأديان.

وقد خلُصت الدّراسة إلى بعض النّتائج، ويمكن اختصارها في التّأكيد على الأثر المباشر لدور الطّباعة في ولادة حركة التّنوير والتّسريع من عجلة التّثاقف على إثر ترجمة المعارف العربيّة التي غذّت بشروحاتها للمتون اليونانيةِ المبادئَ الرّئيسية للتّيارات الفلسفيّة الكلاسيكيّة، بالإضافة إلى كسر عقدة المركزية الغربيّة بعد انفتاحها على الآخر، وتبنّي الدّعوة لقراءته موضوعيّا، وهو ما أدّى إلى حدوث صدمة ثقافيّة أفرزت المناداة بمفهوم المشترك الكوني وفكرة العالمية، والاعتقاد بأن كل الأطياف البشرية قد ساهمت في صناعة الحضارة، ودحض الاعتقاد السابق الذي يحصُر الحضارة في الفكر الغربي.

2- الأثر الثقافي لاكتشاف الطباعة على الفكر الغربي وتكوّن فكرة الكونيّة

نهدف في هذه الجزئية إلى مساءلة التحوّل الجوهري الذي شهده الفكر الغربيّ بعد اختراع الطّباعة، وذلك عب من خلال تسليط الضّوء على النّقاط المِفصليّة في حُصول الانتقال من مرحلة التّمركز على الذات، إلى كسر التخندق عليها:

2-1- من الانغلاق على الذات إلى الانفتاح على الآخر وكسر عقدة المركزية

ينبغي قبل تناول عوامل الاعتقاد الغربي بالتفوّق، والقائم على مقولة "المركزية"، والزّعم بأنّه يمثّل مركز الإشعاع الحضاري، بينما يعكس الآخر هامشا وبربريّة، أن نلتفت بإيجاز إلى السّياق الفكري والتّاريخي الذي احتضن هذا المفهوم، ونشأ داخله، ويتمثّل في الهيمنة اللاهوتية الكنسيّة على الوعي الغربي، وخضوعه لها في تشكيل رؤيته المعرفية. ويمكن تلخيص هذه العوامل في ثلاثة محاور:

أولا : احتكار الحقيقة : فقد ادّعى رجال الإكليروس بأنّ الكتاب المقدس يحتوي على جميع المعارف، وبأنّه معصوم عن الزّيف والخطأ، ذلك أنّ روح القدس قد تولّى مهمّة نقل كلمة الرّب إلى النّاس من خلال حلوله في أفئدة الكَتَبة من الرّسل، وعليه، فلا حاجة إلى استمداد المعارف من خارج تصوّرات الكنيسة لأنّها خليفة الرّب، ووصيّة على عقول الناس وطرائق تفكيرهم، وهو ما أدّى إلى شيوع الجهل نظرا لاحتكار سلطتها "ورجالها للعلم والتّعليم، ولأنّها فرضت قيودًا على حرّية الفكر والبحث العلمي، كما اتّهمت بالهرطقة كلّ من يخالف تعاليمها، وأنزلت به العقاب الصارم" (فرح، 2000، صفحة 363).

ثانيا : منع التّرجمة وتجريم الطّباعة : كان للكنيسة في البدء موقف عدائيّ اتّجاه الطّباعة، ويعود السّبب الجوهري في ذلك إلى الخشية من انتشار المعرفة بين العامّة، ولهذا قامت بمناهضة جميع محاولات ترجمة الكتاب المقدس إلى لغات أخرى (كمحنة جون ويكليف)، كما حرّمت عملية طباعته، معتبرة ذلك بمثابة هرطقة، وهو ما دفعها إلى إقامة محاكم التفتيش، "فقد كان رجال الكنيسة ينظرون في بداية الأمر إلى الكتب المطبوعة شزرًا، معتبرينها وسيلةً يستعملُها الأشرار حيث تكون ثمرتها اللّعنة، خصوصا إذا استعملت في ميادين مخالفة لتعاليم الكنيسة، كإصدار بعض الشّروحات للكتاب المقدس" (الكندور، 2014، صفحة 35) . إذ كانت بمثابة السّلطة الوحيدة المخوّل لها القيام بإجراء تفسيرات وشروحات على تعاليم الكتاب المقدّس، بسبب سلطة روح القدس التي خوّلتها بخلافة الرّب على الأرض.

ناهيك عن وضعها لما يسمّى بـ"قائمة الكتب المحرّمة *index librorum prohibitorum* " التي مُنع تداولها وطباعتها وترجمتها، مع التّهديد بالإعدام شنقا، خوفا من اهتزاز مكانتها السياسيّة والدينيّة، بالإضافة إلى الخشية من تلوّث الإيمان المسيحي بأفكار الأديان الضالّة (بندكت، 2014، الصفحات 105-106)

ثالثا : الانتقاص من الآخر وتشويهه: كان يُشكِّل غير المسيحي في المخيال القُروسطي شيطانا همجيّا، وهو حكم مستمدّ من الفلسفتيْن اليونانية والرومانية اللّتان تعتبران الأجنبي بربريّا، وقد تطوّر هذا الحكم وترسّخ بعد إضفاء الطابع الدّيني عليه، فازداد شرعيّة وقبولا وتداولا، ولذلك ساد الاعتقاد بأنّ التاريخ الحقيقي يبتدئ من اليونان، وبأنّ الغرب وحده من يحمل بذور التفلسف والتحضّر (ديورانت، 1408هـ/2010م، الصفحات ك-ل)، وهو ما أسهم في تقوية المركزية الغربية، ووسّع هُوّة العلاقة مع الآخر، وصولا إلى معاداته، بل واحتلاله تحت مبرّر تنويره.

ويمكن الاستدلال على ذلك بإيجاز موقف الكنيسة خلال القرون الوسطى من الإسلام، فقد قرّرت الصراع معه باعتباره عقيدة معادية وضالّة، ولهذا تشكّلت عنه قوالب ذهنية خيالية مشوّهة في الوعي المسيحي، وظلّت راسخة لزمن طويل (جورافسكي، 1996، الصفحات 57-58)

غير أنّ كبرياء المركزيّة الغربية قد انكسر بعد الصّدمة الثقافية التي حدثت لها على إثر احتكاكها بالعالم المغاير، وكان من نتائج هذا التّقارب بينهما حدوث انقلاب كوبرنيكي على مستوى المفاهيم والتصوّرات، وتمّ بعدها الإعلان عن إجراء ثوريّ يتمثّل في القيام بمراجعة نقديّة لمفهوم التّمركز، خاصّة بعد اكتشاف الثراء والزّخم الذي تزخر به بقيّة الثقافات غير المسيحية، ليظهر كمحصّلة لذلك مفهوم مُستجد أصبح متداولا في السّاحة الفكرية الغربية، يدعوه "جيرار ليكلرك" بـ"العالمية /الكونية"، ويقصد به عالما دون مركزية، يؤمن بالتعدّدية والكونية المشتركة بين مختلف الأجناس، وأكثر قابليّة للتحاور والتثاقف، كما أنّه وضع التصوّرات الغربية على طاولة واحدة للمقارنة مع بقيّة الرؤى الوجودية الأخرى دون استعلاء (ليكلرك، 2004، الصفحات 24-25).

وقد أسهمت عدّة عوامل في تبلور مفهوم "الكونية"، ويمكن اختصارها في أربعة محاور :

أولا : الرحلات والاكتشافات الجغرافية : يذهب "ليكلرك" إلى أنّ الانغلاق التقليدي على الذات كان أمرا طبيعيّا بسبب انفصال الحضارات الكبرى عن بعضها البعض تحت تأثير اتّساع المساحات الجغرافية وعامل التّضاريس، لكن باختفاء الفواصل والحواجز الطبيعيّة بعد تطوّر المواصلات البرّية والبحريّة جعل الانغلاق يبدو مصطنعًا، وبالتّالي، فقد أضحى الانفتاح ضرورة بدل كونه خيارا وجوديّا، ذلك أنّ طبيعة العصر كان تفرضُه، وهو ما سمح بتغيير الأحكام المسبقة عن الآخر وزحزحتها بفعل الاحتكاك به والتّعامل معه بقيم التسامح والتقبّل (ليكلرك، 2004، الصفحات 45-46). ويعود الفضل في ذلك إلى تأثير أدب الرّحلات في التّعريف بملامح الحياة الثقافيّة والدينيّة والاجتماعيّة لدى مختلف الشعوب، وما كُتِب ونُقِل عن قِيمها وثرائها وتنوُّعها، وهو ما سمح بكسر القبليات المشوّهة، وفرض مواجهة معرفيّة بين الذات الغربية والآخر المختلف .

ثانيا : تقارير البعثات التبشيرية : قامت الكنيسة بإرسال العديد من دعاتها إلى الشرق بغية تنصير شعوبه، مثل البعثات اليسوعيّة اتجاه اليابان والصين والهند والبلاد العربية، لكنّ

تعلّمهم للّغات المحلية، واطّلاعهم على كتب الشّرق المقدّسة، قد أسهم في تغيّر نظرتهم لمعتنقي هاته الأديان الشرقية، وهو ما تعكسه تقاريرهم ومراسلاتهم التي كانوا يبعثون بها، فكانوا بذلك يمارسون نوعا من الاستشراق (ليكلرك، 2004، صفحة 121)، بمعنى أنّهم كانوا يمهّدون للأرضية المعرفية الأولى للاستشراق، بل وكان يدعوهم "ليكرك" بأجداد المستشرقين نظرا لأثرهم العميق.

ثالثا : التّبادل التّجاري : كان لانتقال السّلع عبر طرق التّجارة القديمة أثرٌ فكري بالموازاة مع المنفعة المادّية، ويتمثّل في تحقيق وتعزيز التّثاقف، ذلك أنّ التجارة تعتبر من أكثر الوسائل السّلمية قِدمًا في تلاقي الحضارات والشّعوب، كما أنّها كانت سببا في تأسيس المدن التجارية الكبرى كالبندقية، وأسهمت في ظهور الثراء، ونشأة عائلات وسطى مثقّفة، استطاعت بثقلها أن تستقلّ عن قوانين الكنيسة والتمرّد عليها (العميري، 1439هـ/2018م، صفحة 60).

رابعا : التبادل التقني : كانت كلّ حضارة تستعير ما تحتاجه من الحضارات الأخرى، ويعدّ ذلك من مقوّمات التّلاقح الثقافي ومن عوامل شيوع الأفكار، غير أنّ تبادل "التقنيّة" يمثل أهمّ عناصر الترويج الثقافي عبر التاريخ ، ذلك أنّها أحدثت ثورة كبرى في الاتّصالات (أبو القاسمي، 2017، صفحة 30)، ونحن إذا ما تحدثنا عن فترة القرون الوسطى من حيث السّياق التاريخي، ومن حيث علاقته بإشكالياتنا، فنقصد به تجارة الكاغد تحديدا، وانتقاله من الشرق إلى الغرب، باعتباره التقنية التي سرّعت من عجلة التثاقف والتواصل، ودوره في تسريع الطّباعة وجودة المطبوعات.

كما كان لاكتشاف البوصلة والخرائط البحرية وصناعة السّفن دور في فتح الآفاق أمام الغرب ليكتشف القارات الأخرى ويحتكّ بغير المسيحيين، ويتعرّف على عقائدهم وتقاليدهم عن قرب. (العميري، 1439هـ/2018م، صفحة 60).

2-2- الأثر الفكري لاكتشاف "يوهان غوتنبرغ" للطّباعة

نسعى في هذا الجزء من البحث إلى مساءلة ومقاربة الأثر الثّقافي الذي أحدثته "ثورة الطباعة" مثلما تسمّى في الأدبيات الغربيّة على الوعي خلال القرن الخامس عشر الميلادي وما بعده، وكيف أسهم ابتكارها في تشكيل واقع معرفيّ مغاير، تمكّن بزخمه أن يُحدث تحوّلا جوهريا على مستوى المفاهيم والتصوّرات. ومع ذلك، فإنه ينبغي أن نشير إلى أنّنا لا نهدف إلى مناقشة الأسبقية التّاريخية لاكتشاف الطّباعة في الصّين والبلاد الإسلاميّة قبل ظهورها بأوروبا، والتي انتقلت إليها بفضل طرق التّجارة، وإنّما بالتّركيز على انعكاساتها وتجلّياتها على مستوى الأفكار، وإبداء الذات الغربية للقابلية والاستعداد للحوار مع الآخر، وهو ما أسهم في التأسيس للَحظة ثقافية جديدة في الفكر الغربي.

وبناء على ما سبق، تشير "لطيفة الكندور" إلى أن فنّ الطّباعة الذي أحدث انقلابا في فكر الإنسان، وكان أداةً لنشر المعرفة، وأثّر على تطوّر الحياة البشرية، هو الاختراع الذي عرفته أوروبا

أواسط القرن الخامس عشر ، أي سنة 1447م تحديدا، على يد الألماني "يوهان غوتنبرغ"، وهو عبارة عن آلة للطّباعة بالحروف المعدنية المتحرّكة أو ما يُعرَف بالتّبوغرافيا (الكندور، 2014، صفحة 29)، فآلته التي تصهر الحروف المعدنية على الكاغد، كانت بمثابة التّقنية التي أحدثت نقلةً جوهرية في عالم الفكر بالمقارنة مع تقنيات الطّباعة السابقة عليها، وذلك بفضل جودتها وسرعتها.

وبالإضافة إلى ما تمّ تناوله، فإنّ التّقنيات القديمة التي كانت تعتمد على الحروف الخشبية بالصّين، تتميّز بالصّعوبة في الاستعمال ورداءة الإنتاج، غير أنّ الطّباعة بحروف "غوتنبرغ" المعدنية المتحرّكة، قد فتحت طريقا تقدُّميًا أعظم بكثير ممّا سبق، وأدّى إلى ثورة فعليّة في صناعة الكتاب. ومع ذلك، ينفي "سفند دال" الجذور الشرقية لهذا الاختراع، ويعتقد بأن النموذج الغربي مستقلّ عنها (دال، 1958، صفحة 99).

ويجادل "قاسم السامرائي" ضدّ هذا الموقف، ويشدّد على أسبقيّة الصّين والمسلمين في استخدام الطّباعة، مبيّنا بأنّ عدم اهتمام المسلمين بها إنّما يعود لأسباب ذوقيّة تتمثّل في تفضيل النَّسخ وجمالية الخطّ العربيّ بدل كونه تحريما دينيًّا لها (السامرائي، 1996، صفحة 46).

كما يؤكّد بأن صناعة الكاغد التي علّمها المسلمون للأوروبيّين كانت سببا في ظهور الطّباعة (السامرائي، 1996، صفحة 50)، وهو الموضوع الذي يُقرّ ويسلّم به "سفند دال". (دال، 1958، صفحة 79).

أمّا عن الأثر الثقافي لهذا الابتكار تبعا لإشكالية بحثا، فيمكن تلخيصه في ثلاثة محاور:

أولا: تطوّر الوعي والتملّص من وصاية الكنيسة: حدّد "برتراند راسل" أربع حركات كبرى لمعالم المرحلة الانتقالية من القرون الوسطى إلى عصر النهضة، وتتمثل في: النهضة الإيطالية، النزعة الإنسية، حركة الإصلاح الديني، وحركة إحياء العلم التجريبي. وهو ما أدّى - بحسبه - إلى تحرّر العلم من سيطرة الإكليروس، وشيوع الفكر الفلسفي التأمّلي بين عامّة الناس، كما أنّه يعزو الفضل في تحقّق هذه النّقلة إلى اكتشاف الطباعة باعتبارها أهمّ عامل سرّع من عجلة تداول الأفكار الجديدة بشكل هائل، وهو ما أسهم في هدم السّلطات القديمة، بالإضافة إلى أنّ توفّر الكتاب المقدس مطبوعا ومُترجما إلى اللّغات المحلّية قد عجّل بنهاية وصاية الكنيسة على العقيدة، ومهّد بالعودة إلى العلمانية، خاصّة بعد تأثير الطباعة في نشر النظريات السياسية التحرّرية الجديدة (رسل، 1983، صفحة 15، 18).

ثانيا: الدّفاع عن المسيحية: يذهب "ألكسي جورافسكي" إلى أنّ موقف مسيحية القرون الوسطى من الإسلام قد حدّدته محطّتان رئيسيّتان، أوّلا : ضرورة التعلّم منه باعتباره الأقوى

والأعلم. ثانيا: الصّراع معه باعتباره عدوّا (جورافسكي، 1996، صفحة 57). ولذلك سنتوقف باختصار عند الفكرة الثانية على أن نعود إلى الأولى لاحقا.

وبناء عليه، فقد كان للإسلام خلال تلك الفترة من التاريخ مفاتيح السّيطرة السياسية والعسكرية والعلمية، وهو ما جعله بمثابة العدو الأزليّ المتربّص بالمسيحية بحسب الباباوات، ولهذا انصبّت جهودهم لإلحاق الهزيمة الفكرية واللاهوتية به من جهة، وتنصير المُنتسبين إليه من جهة أخرى، وذلك ما يفسّر ظهور ما يسمى بـ"الطباعة العربية في أوروبا" في الأدبيات الاستشراقية، أي طباعة المؤلفات العربية للاستفادة منها.

وقد ظهرت الطّباعة بالحروف العربية بعد وقت وجيز من اختراع "غوتنبرغ"، وكان دافعها الصّرف دينيا، ويكمن في محاولة محو الإسلام من خلال تنصير أهله بعد العجز عن محاربة اللغة العربية، وقد نُعت هذا التوجه بـ"تنصير العربية"، والذي عرّف ترجمة الأدعية والصّلوات والطقوس المسيحية إلى العربية بغرض نشرها في البلدان الشرقية بين المسلمين، فكان كتاب "صلاة السّواعي" أوّل كتاب عربي يُطبع سنة 1514م. كما أنّ عامل الخوف قد دفع بالعديد من رجال الدين إلى تعلّم اللّغة العربية من أجل دراسة الإسلام وفهمه، ولذلك انكبّوا على ترجمة المؤلفات الإسلامية الكلاسيكية إلى اللاّتينية بغية تحقيق التواصل مع المسلمين، وهو ما يفسّر سبب الاهتمام المبكّر بصناعة الحرف العربي. كما حظي "سفر المزامير" خصوصا بالترجمة والطباعة إلى العربية كثاني كتاب تحت إشراف الكنيسة، أما ثالث كتاب طُبع بالعربية فكان "القرآن الكريم"، وقد عرف اختلافا حول أسباب وتاريخ ومكان طباعته، غير أنّ الدّافع الديني كان بمثابة المحرّك الأساسي لذلك. (الكندور، 2014، صفحة 39، 43).

ويستحضر "قاسم السامرائي" العديد من نماذج الكتب المخصّصة للتعريف بالمسيحية أو لنقض الإسلام والردّ عليه، ممّا يصعُب إحصاؤه، غير أنّه يؤكّد بأنّ عوامل الخوف من الإسلام والرغبة في تنصير معتنيقه، كانت من أبرز الحوافز لظهور الطباعة العربية في أوروبا، خاصة بعد سقوط القسطنطينية، وهو الحدث الذي دفع بـ"غوتنبرغ" ذاته إلى طباعة كتاب *Turkenkalendar*للتحذير قوّة الإسلام وخطره سنة 1454م، ولهذا السبب تحديدا كان لدى اللاّهوتيين اعتقادٌ راسخٌ خلال القرن الثالث عشر، ومفاده بأنّ جهل المسلمين للإنجيل وللمسيحية، يمثّل العقبة والحائل ضدّ تنصيرهم، وهو ما حفّزهم على تعلّم العربية من أجل ترجمة الإنجيل إليها (السامرائي، 1996، صفحة 50، 54).

وكمثال عمّا سبق، يشير "السامرائي" إلى إنشاء الفاتيكان برئاسة البابا "غريغوري الثالث" سنة 1584م لمطبعة" الكلية الجزويتية"، بالإضافة إلى مطبعة "مديتشي" بروما، من أجل تدريب المنصّرين، ولأنّ الأمر يحتاج تعلّم العربية، فقد أصدرت مطبعة "مديتشي" كتاب "الكافية" لـ"ابن الحاجب"، و"الآجرومية" لـ"الصنهاجي" سنة 1592م، و"مبادئ اللغة العربية" لـ"يوحنا ريموندي"

الذي شدّد على تعلّمها لأغراض تنصيرية لأنّها كانت تمثّل لغة العالم آنذاك (السامرائي، 1996، الصفحات 56-57). وعليه، يمكن القول بأنّ الكنيسة قد استثمرت في الطّباعة لخدمة مصالحها بعد تجريمها فيما سبق.

وبالإضافة إلى ما تمّ تناوله، فإنّ غالبية المصنّفات المسيحية كانت تشترك في شيطنة صورة الإسلام في الوعي الغربي، وتنعتُه بمختلف الأوصاف القبيحة، وقد استحضر "جورافسكي" الكثير من النماذج، غير أننا آثرنا اختصار موقفه لجهود "بطرس المبجّل" رئيس دير كلوني ومترجم القرآن إلى اللاتينية، الذي يعتبره بمثابة المؤسّس لحقل الدراسات الإسلامية لدى مسيحيّي القرون الوسطى، وقد شدّد هذا الأخير على حتمية الصّراع مع الإسلام بواسطة الحجّة والبرهان، وعلى ضرورة استعادة المسلمين إلى فلك المسيحية، ولذلك شكّل فريقا من المترجمين، وألّف كتابيْه "دحض العقيدة الإسلامية" و"المجموعة الطليطلية" اللّذان كان يمثّلان بالنسبة للأوروبيين مصدر معرفة الإسلام الرئيسي لقرابة خمسمائة عام (جورافسكي، 1996، صفحة 70، 73).

ثالثا : ترجمة المعارف العربية : وبالعودة إلى الموقف الأوّل لمسيحية القرون الوسطى من الإسلام المتعلّق بضرورة التعلّم منه تبعا لـ"جورافسكي"، فالتّاريخ يُثبت بأن النّهضة الأوروبية قد تحقّقت على إثر الاحتكاك المباشر بمسلمي الأندلس وصقلّية، وبعد الاهتمام بترجمة التراث الإسلامي في مختلف المجالات العلمية، وقد حدث هذا الاهتمام بسبب طغيان الجانب العلمي على الديني مع نهاية القرن السادس عشر، ومواكبة لنشاط حركة الاستشراق، وللرغبة في دراسة الشّرق معرفيا والتعرّف عليه، وهو ما أسهم في تأسيس مطبعة اللغات الشرقية "مديتشي" التي قامت بطبع الكثير من الكتب العربية، ومن بينها : "القانون في الطب" لـ"ابن سينا" سنة 1593م، و"تحرير أصول الهندسة لإقليدس" لـ"الطوسي" 1595م، ناهيك عن ظهور مطابع أخرى ببلدان أوروبية متعدّدة، مثل مطبعة "سافاري" بفرنسا 1616م، ومطبعة "ليدن" بهولندا، بالإضافة إلى مطابع أخرى بألمانيا وانجلترا، والتي ساهمت بدورها في نشر الثقافة العربية، حيث طُبع ما يناهز 124 كتابا عربيا خلال تلك الفترة من التّاريخ (الكندور، 2014، الصفحات 44- 46).

ونظرا لصعوبة إحصاء الأعمال العربية التي خضعت للتّرجمة والطّباعة، فإنّنا سنركّز على الأثر الثقافي المباشر من خلال جانبين:

أ. ترجمة وطباعة التراث الفلسفي : وذلك لأثر الشروح الفلسفية الإسلامية على فلاسفة عصري النهضة والتنوير، فبعد حروب الاسترداد مثلما يذهب "جورافسكي"، ظهر مفهوم "التواصل الثقافي" بين الغرب والإسلام، وتحوّلت إسبانيا وصقلّية إلى قناتيْن رئيسيّتين لمرور عناصر الثقافة العربية، وبدأت عمليّة الترجمة الانتقائية من العربية إلى اللاتينية لأهم المؤلفات الفلسفية، وانصرف اللاهوتيون إلى ترجمة كتب "ابن سينا" و"ابن رشد" و"الغزالي" و"أبي بكر الرازي"،

و'الكندي"، وغير ذلك، مشيرا إلى أنّه تمّ اقتباس واستمداد المبادئ الرئيسية لتيّاراتهم اللاهوتية الكلاسيكية من هاته الشروح العربية، على غرار تغذية المذاهب الأغسطينية والرشدية والسيكولائية والتوماوية، وغيرها بما تحتاجه لتأسيس نظرياتها، ناهيك عن استلهام طرق الحجاج والدّفاع عنها. وقد سمح ذلك الجوّ الثقافي بنشاط حركة الجدل الديني، وكانت طليطلة تمثّل مركزا رئيسيا لترجمة التراث الفلسفي الإسلامي إلى اللاتينية. (جورافسكي، 1996، صفحة 40، 49).

ب. ترجمة وطباعة العلوم: يُجمع الباحثون بأنّ الكتب العربيّة العلميّة في مجالات الفلك والطب والرياضيات والجغرافيا، وغيرها، كانت المصدر الوحيد تقريبا للتدريس في الجامعات الأوروبية لخمسة أو ستة قرون، كما أنّ الحركة العلمية بلغت أوجها في عهد "فريدريك الثاني" الذي شجّع على نقل التراث العربيّ إلى اللاّتينية، وقد دفعه ذلك إلى تأسيس "جامعة نابولي" 1224م (أبو حسان، 2009، صفحة 27، 30).

كما أنّ الدّور البارز للحضارة الإسلامية يكمن في تقويض أهمّ نظرتين ساهم دحضُهما في حصول ثورتين علميّتين هزّتَا العالم، وتتمثّل الأولى في تأثير "ابن الشاطر" على "كوبرنيكوس" ، الذي أسقطت نظريّته سلطة "بطليموس"، أمّا الثّانية فتعود إلى تأثير "الغزالي" على "ديكارت" الذي أسهم في تقويض سلطة "أرسطو" على العقل، ناهيك عن إبداع العرب للمنهج التجريبي الذي أقلب جميع المفاهيم، وبذلك تخلّصت أوروبا من أغلال جهل القرون الوسطى. (أبو حسان، 2009، صفحة 121).

3 - دور ابتكار الطباعة في تأسيس العلوم الإنسانية والاجتماعية:

سنعمل خلال هذه المرحلة من البحث على مساءلة الأثر الثقافي الذي خلّفه تسارع وتزايد عدد المطبوعات والترجمات بعد اختراع "غوتنبرغ" للطّباعة في تأسيس ما يُعرف ابستيمولوجيًا بالعلوم الإنسانية والاجتماعية.

3-1- الحاجة الابستيمولوجية إلى القراءة الموضوعية للآخر :

كنّا قد أشرنا سابقا إلى الانقلاب الكوبرنيكي الذي شهده الفكر الغربي على إثر التمرّد على وصاية الكنيسة وسلطتها على العقل، والحاصل كنتيجة للصّدمة الثقافية التي وقعت بعد الاكتشافات الجغرافية وشدّ الرّحال نحو الشرق، وقد سمحت هذه الأخيرة بالتعرّف على التراث الفكري والديني لشعوب تلك المنطقة الجغرافية، والإطلاع المقرّب عليها، والاحتكاك بها.

وتبعا لذلك، فقد سار كلّ من الاستعمار والتنصير جنبا إلى جنب بحسب الأطروحة التي دافع عنها "جيرار ليكلرك"، الذي أكّد على أنّ دوافع الخروج باتّجاه الشرق تكمن في محاولة إخضاع شعوبه والسيطرة عليها، وبالتّالي، فإن المعرفة كانت تابعة للسلطة السياسية وخادمة لها، وهو ما جعل التثاقف والبحث العلمي والرغبة في تنوير الأمم المغايرة سِتارًا ومبرّرا لتوسّع الحركات الاستعمارية التي لم تهدف في حقيقتها إلى تقصّي المعرفة الموضوعية بالآخر بقدر ما كانت سيطرة

واستعمارا، وهو ما يفسّر بحسبه نشأة العلوم الإنسانية خلال الفترة الاستعمارية من التاريخ، بمعنى، أنّ تأسيس هاته العلوم كانت يهدف لتقديم تقارير تكشف عن مكامن الضّعف والوهن التي يمكن بمعرفتها واستغلالها تحقيق الهيمنة على الشعوب. (لكلرك، 1411هـ/1990م، الصفحات 6-7) . ولذلك كانت نتائج ومخرجات غالبية الدراسات السابقة عن الحضارات الأخرى مغلّفة بالأدلجة والأحكام المسبقة بسبب تبنّيها للمقاربة الذاتية.

وانطلاقا من هذا السياق التاريخي لعلاقة المعرفة بخدمة الاستعمار، فإننا سنشير بإيجاز إلى نشأة بعض العلوم الإنسانية والاجتماعية وعن علاقة الطباعة والترجمة في وضع معالمها، باعتبارهما وسيلتان تمّ توظيفهما لتحقيق الهيمنة:

أولا: علاقة حملة "نابليون" بنشأة الاستشراق: ففي حملته على مصر، جلب "نابليون بونابرت" معه عدّة مطابع ذات حروف عربيّة وأجنبيّة، بغرض استعمالها في الدّعاية وتسجيل الحوادث وتوثيقها (الكندور، 2014، صفحة 51).

كما أنّه ضمّ في حملته 167 عالما من مختلف التخصصات العلمية، وبالإضافة إلى ما سبق، فقد استُعملت مطابعه لتنظيم المادة العلميّة الغزيرة التي أنتجتها الفرق البحثية الفرنسية، وكانت محصّلتها تصنيفُ كتاب موسوم بـ"وصف مصر" الذي استغرق إنجازه 25 سنة من الزمن، وأسهم في تأسيس ما يسمى بـ"علم المصريات"، بالإضافة إلى "علم الاستشراق الإسلامي"، ناهيك عن دور المعارف المكتشفة والمنقولة بواسطة الحملة في ظهور الكراسي العلميّة المتخصصة في الاستشراق بالجامعات الغربية، والانكباب المتزايد على طباعة وترجمة كتب التراث. وقد زاد اهتمام المستشرقين بالإسلام لاحقا، خاصّة بعد سقوط الدولة العثمانية، وتوغّلهم ببلاد الشام وشبه الجزيرة العربية، وكثرة رحلاتهم الاستكشافية، وحيازتهم على العديد من المخطوطات، التي أفرزت في النهاية عن تأليف الكثير من الكتب الكلاسيكية الاستشراقية حول الإسلام من طرف كبار أعلامهم، وأبرزهم: "جولدزيهر"، "جب"، "ماسينيون"، "بيكر"، "كوربان"، وغيرهم. (ليكلرك، 2004، الصفحات 105- 119). وقد سمحت هاته الدراسات بكسر الرؤية الكنسية المشوّهة والمتوارثة عن الإسلام، وذلك بعد قدرة المستشرقين على الوصول إلى مصادره الأصلية، ويمكن القول بأن العديد من أعمالهم عرفت بعض الموضوعية مقارنة بما كان يُؤلَّف في القرون الوسطى، رغم الكثير من التّحامل الموجود في كتبهم.

ثانيا : علاقة البعثات اليسوعية بنشأة "علم الهنديات": مع بدايات القرن السادس عشر، وصلت طلائع المبشّرين اليسوعيّين إلى الهند رغبة في تنصير الوثنيّين، ولم يكن بينهم حينها أيٌّ من المستشرقين، لأنّه كحقل علميّ لم يكن قد تأسّس عمليّا وقتئذ، لكنّهم - بحسب - "ليكلرك" قد مارسوا نوعا من الاستشراق مثلما صار يسمّى في أدبيات القرن التاسع عشر، كما أنّهم تمكّنوا

من أقْلَمة الإنجيل مع المعتقدات المحليّة بعد عقد مقارنات مع الهندوسية، وأبدوْا تسامحا وانفتاحا معها، وأقرُّوا بعد الإطلاع على التراث الديني الشرقي، والتجارب الروحية التي تزخر بها، بأنّ الوثني ليس بالضرورة شيطانيا، وبأنّ الحقيقة ليست محصورة بالحضارة الغربية فحسب. وقد عملوا على ترجمة النصوص الدينية والأدبية السنسكريتية، مثل "الريج فيدا"، وتمّت طباعة أوّل مجموعة من الأدب السنسكريتي سنة 1739م بباريس، بالإضافة إلى ترجمة الأوبانيشاد سنة 1786م، وكان هذا العمل الترجمي من حوافز البحث في نظرية القرابة اللّغوية بين السّنسكريتية واللاّتينية التي طرحها "الأب كوردو" سنة 1767م. كما أنشأ "شارلز ويلكنز" أوّل مطبعة بالهند سنة 1778م، وترجم "الباغهافادا جيتا" سنة 1785م، وأكّد "وليم جونس" الذي ترجم "قوانين مانو" على عدم وجود تناقض بين الميثولوجيا الهندية والتاريخ التوراتي (ليكلرك، 2004، الصفحات 121- 128).

وظهر نتيجة لاكتشاف التراث السنسكريتي مفهوم "محبّة الشرق" في الاستشراق الألماني،إذ تمّ وضع الفلسفة الهندية على قدم المساواة بالفلسفة الغربية، وعرفت الجامعات الألمانية تأسيس عدّة كراسي علميّة متخصصة فيها، كما ظهرت الكثير من المطبوعات مثل طباعة "المكتبة الهندية" ما بين 1820و 1830م بواسطة الأخوين "شليغل" اللّذان لا يعتبران الهند مجرد ميدان للدراسة العلمية فحسب، وإنما كحضارة يمكنها إعادة إحياء أوروبا. بالإضافة لطبع وترجمة 53 كتابا هنديا ما بين 1829 و1834م. وقد أسهمت ترجمة النّصوص السنسكريتية في تأسيس عدّة علوم من بينها : الفيلولوجيا والميثولوجيا والأنثروبولوجيا والإثنولوجيا، وغيرها، على إثر تطبيقات المنهج التاريخي والمقارن على الأساطير والعقائد والنصوص السنسكريتية، كما برزت العديد من الأسماء التي اشتغلت في هاته الحقول المعرفية على غرار "فرانز بوب"، و"ماكس مولر، وغيرهم". (ليكلرك، 2004، الصفحات 130- 133).

ثالثا : الحاجة المعرفية لتأسيس علم الأديان : لقد قاد اكتشاف الهند ووفرة النصوص الدينية السنسكريتية إلى طرح إشكاليات ثورية وأسئلة جريئة حول أصل الدين ومنشئه، ومن ثمّ إلى محاولة التفكير في هاته الإشكاليات والسعي نحو تقديم إجابات عنها خارج التصوّر الكنسي المعهود، وذلك باعتماد مقاربات مستجدّة ذات مناهج مغايرة، خاصّة بعد تطوّر الوعي الغربي، واكتشاف التشابه الكبير بين الأساطير الهندية والتوراتية، كما دفع ذلك بالتّساؤل حول أصل اللّغة بعد العثور على القرابة الوطيدة بين اللاّتينية والسّنسكريتية، والعثور على جذور مشتركة بينهما على إثر الدّراسات المقارنة، وهو ما أدّى إلى ازدهار الفيلولوجيا وظهور تفاسير مستجدّة للكتاب المقدس من حيث المنهج والموضوع، واعتبارها وريثة للتفسير اللاهوتي، بل والتشكيك في المسلّمة الأوغسطينية القائلة بالأصل العبري للّغة البشرية (أولندر، 2007، الصفحات 10-11). وهو ما

أسهم في اعتلاء السنسكريتية عرش الصدارة بدلا من العبرانية في الدراسات الفيلولوجية في الجامعات الغربية خلال بدايات القرن التاسع عشر.

ويشيد "دين محمد ميرا" بشجاعة علماء الأديان الغربيين في تحدّي الكنيسة المعادية للأديان الأخرى، الذين شدّدوا على أحقيّتها بالدراسة العلميّة الموضوعية، اعتقادا منهم بأنّها تشتمل على شيء من الحقيقة، كما أكّد "ميرا" بأن توفّر المادّة العلمية المترجمة كان دافعا لهم للبحث في إشكالية أصل الدين من منظور مغاير (ميرا، 1430هـ/2009م، الصفحات 11-12).

وتظهر ضرورة التأسيس المعرفي لعلم الأديان خلال تلك الفترة في دعوة مؤرخ الأديان "مرسيا إلياد" إلى القراءة الموضوعية للآخر، والحاجة إلى إسقاط الأحكام المسبقة عنه لإمكانية إجراء حوار ناجح معه، ولفهم حياته الروحية التي تُعبّر عنها وثائقه الدينية المكتشفة، ولإتاحة الفرصة أمام تحقيق فهم أعمق وأشمل للإنسان الكوني (إلياده، 2007، صفحة 50).

2-3- مشروع "ماكس مولر" في ترجمة الكتب المقدسة ودوره في تأسيس علم الأديان

تعود جذور نشأة علم الأديان في الفكر الغربي كحقل معرفيّ مستقلّ عن بقية فروع المعرفة، إلى جهود الألماني "ماكس مولر" في التقعيد والتنظير لمعالمه، رغم الأسبقية التاريخية للعلم في الفكر الإسلامي. وقد قادت الدّراسات الفيلولوجية المقارنة التي طبّقها "مولر" على النصوص الدينية والأساطير الهندوسية المدوّنة بالسنسكريتية إلى التفكير في الكتابة حول علم مستقلٍّ بذاته من حيث الماهيّة والمنهج والتصوّر والغاية، يسعى إلى دراسة الظاهرة الدينية وفق مناهج بحثية مغايرة عن بقية أدوات التخصّصات الأخرى، مثل الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع الديني وعلم النفس الديني وفلسفة الدين، وغيرها، وذلك بغية الوصول إلى نتائج غير إقصائية وغير اختزالية لطبيعة هذه الأخيرة، ولتحقيق أقصى درجات الموضوعية والنزاهة العلمية، ولذلك عمل في كتابه *Introduction to the science of religion* والمنشور سنة 1873م على وضع مبادءه الأولى ورسم حدوده التمهيدية، واختار للدلالة على هذا الحقل الفتيّ حينها مصطلح *Religionswissenchaft*، أي "علم الأديان"، مشدّدا على أنّ الدراسة العلمية والموضوعية والوصفية للدّين مُمكنة، كما أنّه حاول من خلاله الإجابة عن إشكالية ماهية الدين وأصله، وعن سبب ميل الإنسان نحو التدين، وقد قرّر فيه قاعدة مفادها *« He who know one religion, know none »*. (Muller, 1873, pp. For more detailed discussion,see.pp. 01-16) أي أنّ الذي يملك معرفة محدودة ومحصورة بدين واحد فقط، فإنّه لا يعرف شيئا عن بقية الأديان الأخرى، ذلك أنه من يُقارب الأديان من خلال السياق المسيحي فحسب، فإنّ نتائجه ستكون اختزالية بالضرورة بسبب المقاربة الذاتية وتبنّي الأحكام المسبقة عنها.

وليس يعنينا التوقف المطوّل عند إسهاماته في تأسيس هذا الحقل، بقدر بيان العامل الأهمّ الذي دفعه نحو التنظير له، ويتمثّل في محاولة بلوغ أقصى درجات الموضوعية والنزاهة العلميّة، وذلك بالعمل على دراسة الآخر من خلال ذاته، بعيدا عن الأحكام القبلية المتوارثة والمكتسبة، إذ كان "مولر" يتصوّر بأنّ السّبيل الأمثل نحو تحقيق هذه الغاية يكمُن في حيازة المصادر الأصلية لأديان هذا الآخر، والإطّلاع عليها، وهذا من بعد القيام بترجمتها وطباعتها باعتبارها خطوة منهجيّة حتمية، تحقيقا للإنصاف .واجتنابا للذاتية.

ولتحقيق هذه الغاية، قام "مولر" بتشكيل فريق علمي من مجموعة خبراء واختصاصيّين في اللّغات الشرقية القديمة من أجل العمل على ترجمة خمسين نسخة من الكتب المقدسة الشرقية إلى الإنجليزية، واصطلح على هذا المشروع بـ"كتب الشرق المقدسة *The sacred books of the East*، والتي تُعرف اختصارا بـ *SBE* ، وقد تمّ إنجازها في الفترة الممتدة ما بين 1879 و 1910م، وذلك من بعد إقناع "مولر" لمطبعة "جامعة أوكسفورد" بتمويل مشروعه وتبنّيه. كما أنّه استقال من كرسيّه الجامعي في الفيلولوجيا المقارنة بغية التفرّغ لهذا المشروع الذي تولّى رئاسة تحريره. وقد أسهمت هذه السّلسلة في تطوير ميدان الدراسات المقارنة للأديان ووضع أسسها، والتّعريف بالتجارب الصوفية (Molendjik, 2016, pp. 01-02)

وبناء على ما سبق، يشير "دين محمد ميرا" بأن "توفّر المادة العلمية" تمثل إحدى الشروط الثلاثة لتأسيس علم الأديان في الفكر الغربي، وكان ذلك بمثابة الدافع بالنسبة لـ"ماكس مولر" نحو التفكير في هذا المشروع العلمي الضّخم المنجز بمساعدة زملاءه، فتوفّر عدد من المترجمين لهذه الكتب الصعبة من لغاتها الأصلية مع الشّروحات والتعليقات عليها، وتمويله من طرف جهات لا تنتمي إلى الكنيسة، يُنبّئ عن محاولتهم لبلوغ الموضوعية (ميرا، 1430هـ/2009م، الصفحات 10-12).

ويحتوي هذا المشروع على خمسين نصّا مقدّسا للأديان الشرقية الكبرى مثل : الهندوسية، البوذية، الطاوية، الكونفوشيوسية، الزرادشتية، الجينية، والإسلام، وله موقع خاص يشتمل على النسخ الرقمية لجميع الأعمال، وعنوانه كالتالي : https://sacred-texts.com/sbe/index.htm

وقد أشرف أحد أعضاءه واسمه "إدوارد هنري بالمر" على ترجمة "القرآن الكريم" في جزأين سنة 1880م، غير أنه تحامل على لغة القرآن، ولم يكن عمله يمتاز بالأمانة، ذلك أنّه ترجمه في قالبٍ شعريٍ عامّيٍ، زاعما بأنّ أسلوب القرآن عامّيٌ وبدائيٌ وَعرٌ، ولهذا وجب نقله للعامّية حتّى يُفهَم، وهو ما يدل على جهله بالبلاغة العربية، وقد نال عمله شهرة واسعة حينها. (حسين، 1453هـ/2014م، صفحة 292) .

4- خاتمة

وبعد هذه الدّراسة التحليليّة، يمكن القول بأن ابتكار الطباعة على يد "يوهان غوتنبرغ" قد أسهم في تسريع عجلة التثاقف على إثر انتشار المعرفة بين عامّة الناس على إثر حيازتهم لمختلف الكتب في شتّى المجالات، وذلك بعد احتكار السّلطة الدّينية واللاهوتية لها، كما ساهمت في ترسيخ الفكر الفلسفي وشيوعه بعد طبع الكتب الفلسفية التأسيسية وشروحاتها، وهو ما أدّى إلى ظهور حركة الشكّ في المعارف القبلية والأحكام الجاهزة عن الآخر، خاصّة بعد الحصول على المصادر الأصلية لأديانه، والقيام بترجمتها، ممّا قاد إلى الانفتاح عليه والإقبال على دراسته موضوعيا، كما أن تلك الرغبة في القراءة الموضوعية والنزيهة لهذا الغريب قد أفضت إلى التنظير للعلوم الإنسانية والاجتماعية، وعلى رأسها علم الأديان، وهي فروع معرفية مستقلة عن المقاربة اللاهوتية الدفاعية، بالإضافة إلى التشكيك في عصمة الكتاب المقدس بعد مقارنته بمختلف الكتب الدينية المقدّسة المكتشفة، وكنتيجة لذلك فقد تطوّرت مناهج النقد النصي التي أصبحت بديلة عن التفسيرات والشروحات الكنسيّة المعهودة، ليُفضي ذلك في الأخير إلى كسر المقولات والمبادئ التي تأسست عليها المركزية الغربية، وصولا إلى الاعتقاد بمقولة الإنسان الكوني. كما كان للطباعة فضل كبير في ظهور حركة التنوير بعد الاستفادة من التراث العلمي الإسلامي وترجمته وتداوله.

قائمة المراجع

أولا : المراجع باللغة العربية

1. أرندرسن بندكت. (2014). *الجماعات المتخيّلة، تأمّلات في أصل القومية وانتشارها* (الإصدار 1). (ثائر ديب، المترجمون) قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
2. أليسكي جورافسكي. (1996). *الإسلام والمسيحية* (الإصدار 1). (محمد حمدي زقزوق، المترجمون) الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
3. برتراند رسل. (1983). *حكمة الغرب، الفلسفة الحديثة والمعاصرة* (الإصدار 1، المجلد 2). (أحمد مشاري العدواني، المحرر، و زكرياء فؤاد، المترجمون) الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
4. جيرار لكلرك. (1411هـ/1990م). *الأنثروبولوجيا والاستعمار* (الإصدار 2). (جورج كتورة، المترجمون) بيروت، لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
5. جيرار ليكلرك. (2004). *العولمة الثقافية، الحضارات على المحك* (الإصدار 1). (جورج كتورة، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.
6. ذياب البدانية. (2012). *التوثيق العلمي دليل النشر العلمي*. عمان الاردن: دار المناهج للنشر والتوزيع.
7. سفند دال. (1958). *تاريخ الكتاب من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر* (الإصدار 1). (محمد صلاح الدين حلمي، المترجمون) القاهرة، مصر: المؤسسة القومية للنشر والتوزيع.

8. سلطان بن عبد الرحمان العميري. (1439هـ/2018م). *ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث* (الإصدار 2، المجلد 1). الخبر، السعودية: تكوين للدراسات والأبحاث.
9. عبد السلام الجعافرة. (2013). *التربية والتعليم بين الماضي والحاضر*. عمان الاردن: مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع.
10. قاسم السامرائي. (28-29 جمادى الأولى 1416هـ/22-23 أكتوبر/تشرين الأول 1995، 1996). الطباعة العربية في أوروبا. (جمعة الماجد، المحرر) *ندوة تاريخ الطباعة العربية حتى انتهاء القرن التاسع عشر*.
11. لطيفة الكندور. (2014). *الطباعة والنشر بالمغرب (1282-1376هـ/1865-1956م)* (الإصدار 1). الرباط، المغرب: دار أبي رقراق للطباعة والنشر.
12. محمد أبو حسان. (2009). *دور الحضارة العربية الإسلامية في تكوين الحضارة الغربية، مقارنة مع الحضارتين اليونانية والرومانية* (الإصدار 1). عمّان، الأردن: وزارة الثقافة.
13. محمد بهاء الدين حسين. (1453هـ/2014م). *المستشرقون والقرآن الكريم* (الإصدار 1). الأردن-ماليزيا: دار النفائس للنشر والتوزيع - الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا للنشر.
14. محمد جواد أبو القاسمي. (2017). *نظرية الثقافة* (الإصدار 2). (حيدر نجف، المترجمون) بيروت، لبنان: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.
15. محمد محمد دين ميرا. (1430هـ/2009م). *في علم الدين المقارن، مقالات في المنهج* (الإصدار 1). القاهرة، مصر: دار البصائر.
16. مرتشيا إلياده. (2007). *البحث عن التاريخ والمعنى في الدين* (الإصدار 1). (سعود المولى، المترجمون) بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة.
17. موريس أولندر. (2007). *لغات الفردوس، آريون وساميون : ثنائية العناية الإلهية* (الإصدار 1). (جورج سليمان، المترجمون) بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة.
18. نعيم فرح. (2000). *الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى* (الإصدار 2). دمشق، سوريا: منشورات جامعة دمشق.
19. ول وايرل ديورانت. (1408هـ/2010م). *قصة الحضارة، نشأة الحضارة* (الإصدار 1، المجلد 1). (زكي نجيب محمود، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع.

ثانيا : المراجع باللغة الأجنبية

1. Molendjik, L. A. (2016). *Friedrich Max Müller and the Sacred Books of the East* (1 ed.). London, UK: Oxford University Press.
2. Muller, M. F. (1873). *Introduction to the science of religion : four lectures delivered at the royal institution with two essays on false analogies, and the phylosophy of mythology* (1 ed.). London, UK: Longmans Green.